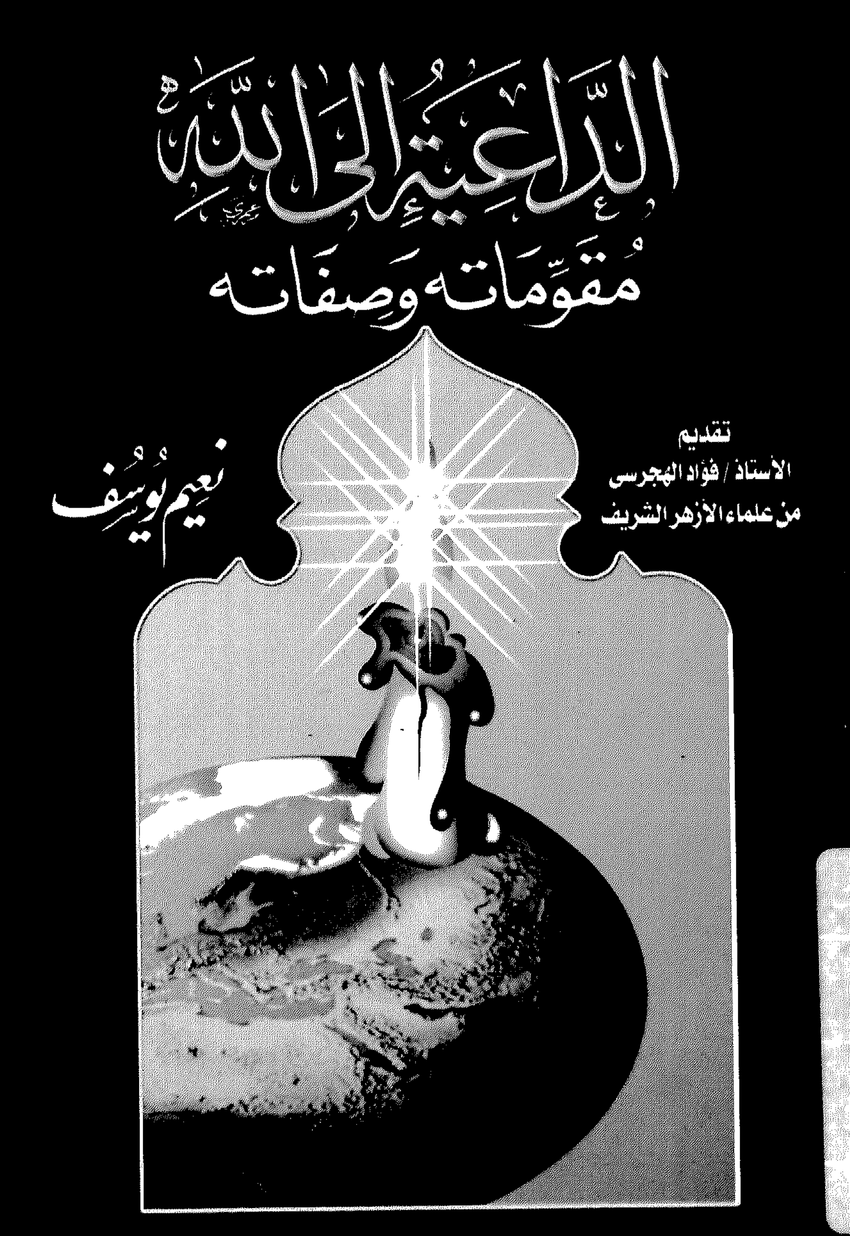

الداعية إلى الله
مقوماته وصفاته
تقديم
الأستاذ / فؤاد الهجرسي
من علماء الأزهر الشريف
نعيم يوسف

دار المنارة



الداعية إلى الله

مقوماته وصفاته

نعيم يوسف

تقديم

الأستاذ / فؤاد الهجرسى

من علماء الأزهر الشريف

دار المنارة

للنشر والتوزيع والترجمة

المنصورة ص.ب ٣٥٧٢٨ ت: ٢٨٤٢٥٤

ف: ٠٠٢٠٥٠ / ٣١٠٥٠١ محمول/ ٠١٢٢٣٦٥٠٠٤٩٠

الطبعة الاولى
١٤٢١هـ / ٢٠٠١م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بين يديك أخي القارئ كتاب : « الداعية إلى الله .. مقوماته وصفاته » وهو كتاب له خطره في موضوعه ، إذ الحاجة ماسَّة اليوم إلى داعية فَطِين لبق ، يسوق فكرته عن الإسلام في ثوب أنيق مقبول؛ نظرًا لتزاحم الأفكار وتزايد الدعوات ، سواء إلى حق مبتور، أو إلى باطل مُزيَّن مزخرف .

والله ـ سبحانه وتعالى ـ تجلى بفضله على نبيه ومصطفاه للدعوة، فكوَّن شخصيته حتى يصلح لها ، ذلك من خلال مقدمتي سورة المزمل وسورة المدثر ، والمعروف أنهما نزلتا في مناسبة واحدة فتزمل في ثيابه وتدثر بها ، أو متشابهة فتزمل مرة وتدثر أخرى .

وكان نزولهما عند الجمهور بعد أن فتر الوحي عنه ﷺ فترته المعروفة إلى أن شق عليه ذلك .

وأنت تلمس سمَة إعداده ـ عليه الصلاة والسلام ـ من قبل ربه في هذين الأمرين : ﴿ قُمِ اللَّيْلَ ﴾ [المزمل : ٢] ، ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ﴾ [المزمل : ٤] في السورة الأولى ، وفيهما حركة مرئية شأنها أن تصقل النفس وتسمو بالروح . وترى ذلك في الأوامر المتتابعة في السورة الثانية : ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ . وَلا تَمْنُن

تَسْتَكْثِرُ. وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ [المدثر : ٢ – ٧] ، وفى كل ذلك أداء قلبى يعظم فيه الرب ويطهر الثوب ـ أى كل ما يحيط القلب من لحم وعظم ودم وعصب ـ وأن يهجر الذنب أو الذريعة لذنب ، وألا يعد عملا له أداه ومضى بل يستعد لعمل يأتى ، وأن يستعين على كل ذلك بالصبر الجميل ، ففيه عدة الدعاة وهو معراج الواصلين .

وإذا كان ذلك كذلك : من عناية رب الجلال بمصطفاه ، لدعوته، فأولى بنا أن نوصى الدعاة فينا ، بمثل ما أجراه الله على قلب كاتب هذه النفحات ، ومديح تلك اللمحات لعلها خطوة على طريق الداعين ، تأخذ بأيديهم إلى طريق صواب ، إذا ما أخذوا أنفسهم به، وطوعوا حياتهم لتوجيهاته .

والكاتب ـ أعزه الله ـ نقل مأثورا جيدا فى هذا الباب عن الإمام على ﷺ ثم قدم لموضوعه بما ناسب الكلام والمقام ، فى ثلاثة أبحاث ، أولها : المقومات الروحية ، وثانيها : المقومات الخلقية ، وثالثها : المقومات الحركية ، وأبان فى كل ذلك ووفى بالمطلوب ، كفاه أن قال فى الأول : « التربية الروحية تزيد الداعية قربا من ربه ، وتعينه على أمره » .

وأن قال فى الثانى : « الداعية الحق هو الذى يضع نصب عينيه حياة رسول الله ﷺ وسيرته العطرة » .

وأن أشار فى الثالث إلى أنه « لا تقبل دعوة المترف فى العيش

إلى التقشف ، ولا دعوة الظالم لرفع الظلم » ؛ ذلك لأنه من دقة حركة الداعى بين المدعوين أن يكون عمله مصداق قوله .

وطالب بعد ذلك أن يتخذ الدعاة أسلوب التيسير لا التعسير ، وإبراز مظاهر الاهتمام بالمدعوين ، من حسن الاستماع إليهم إذا تحدثوا ، وتقديم صنائع المعروف إن احتاجوا .

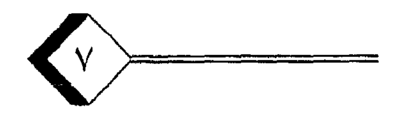
وظل هكذا يلفت الدعاة إلى مقومات شخصية بلغت عددًا طيبا لجميعه قيمة مؤثرة فى إعداده لنفسه ، وفى إحسان توجيه من حوله ، إلى أن همس فى آذان الدعاة أن يحدد كلٌّ غايته من عمله ، وأن يحسِّن خُلقه وأن يقبل التعلم من المدعوين ما وُجدَ ذلك ، وأن يحترم سابقيه على الطريق ، فكفاهم أن ثبتوا حتى وصل الأمر إليه ، ولئن وضعوا الراية فى يده اليوم وهى مرفوعة ، فهو مسئول أن يضعها غدًا فى أيدى من بعده وهى مرفوعة كذلك .

هذا هو الأخ الفاضل . . الأستاذ / نعيم يوسف ، قد جرى قلمه بمكنون قلبه ، فجاء قوله من مصدر صدق وإخلاص ولا نزكيه على ربه ، نسأل الله لنا وله حسن القصد ، وصدق النية ، والثبات على عزيمة الأمر إلى يوم لقائه . . اللهم آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

فؤاد الهجرسى

من علماء الأزهر الشريف





من مأثور الكلام

يقول أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه واصفا الدعاة الصالحين ـ نسأل الله أن نكون منهم ـ الدعاة هم « منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد ، ومشيهم التواضع غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم ، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم . نزلت أنفسهم فهم فى البلاء كالتى نزلت فى الرجاء ، عظم الخالق فى أنفسهم فصغر ما دونه فى أعينهم ، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها .

أما الليل : فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعا ، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم ، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها فى أصول آذانهم .

وأما النهار : فحلماء علماء أبرار أتقياء لا يرضون من أعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير . فهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون .

إذا زُكِّى أحدهم قال : أنا أعلم بنفسى من غيرى وربى أعلم بى

من نفسى . اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى أفضل مما يظنون واغفرلى ما لا يعلمون .

فمن علامة أحدهم : أنك ترى له قوة فى دين وحزماً فى لين وإيماناً فى يقين ، وحرصاً فى علم وعلما فى حلم ، وقصدا فى غنى وخشوعاً فى عبادة ، وتجملاً فى فاقة، وجداً فى شدة وطلباً فى حلال ، ونشاطا فى هدى ،وتحرجاً عن طمع . يمسى وهمه الشكر ، ويصبح وهمه الذكر، تراه قريباً أمله ،ولله خاشعاً قلبه ، قانعة نفسه، مسهلاً أمره ،حريزاً دينه، ميتة شهوته مكظوماً غيظه ، الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون. إن كان من الغافلين كتب فى الذاكرين ، وإن كان من الذاكرين لم يكتب من الغافلين ، يعفوا عمن ظلمه ويعطى من حرمه ويصل من قطعه ، بعيداً فحشه ليناً قوله ، غائبا من منكره ،حاضراً معروفه ، مقبلاً خيره ، مدبراً شره، فى الزلازل وقور ، وفى المكاره صبور ، وفى الرخاء شكور .

المقدمة

الحمد لله حمداً يوافى نعمه ، ويدافع نقمه ، ويكافئ مزيده ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه ، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فبلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة ، وجاهد فى الله حق جهاده ، فتح الله به أعيناً عميا وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأحل الطيبات وحرم الخبائث ووضع عنا إصرنا والأغلال التى كانت علينا فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون .

أما بعد :

فالدعوة إلى الله شرف وعبادة : ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [فصلت: ٣٣]، والدعوة إلى الله هى الوسيلة التى تفتح بها القلوب الغلف والأعين الصم والآذان الصم .

والداعى إلى الله يعلم أن الدعوة إلى الله عز وجل هى مهمة الرسل الكرام ، فهم سفراؤه إلى خلقه ، يبلغونهم أمر ربهم على

بصيرة ، ويرثهم فى هذه المهمة الجليلة العلماء العاملون والدعاة المخلصون ، ليحظوا بالدرجات العلى والثواب العظيم والأجر الجزيل كما بشرهم بذلك رسول الله ﷺ حين قال : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص من آثامهم شيئاً » (١) .

والدعاة إلى الله يعلمون أن مصائر البشرية كلها فى الدنيا والآخرة منوطة بالرسل وبأتباعهم من بعدهم ، وعلى أساس تبليغهم هذا الأمر للبشر تقوم سعادتهم أو شقوتهم ، ويترتب عليه ثوابهم أو عقابهم فى الدنيا والآخرة ، ومن ثمَّ كان الرسل عليهم السلام يحسون بجسامة ما يكلفون به ، وكان الله يبصرهم بحقيقة العبء الذى ينوطه بهم ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً** ﴾ [المزمل : ٥] .

وهذا القول الثقيل يحتاج إلى تهيئة واستعداد وزاد للطريق ومقومات يتزود بها الداعى ليواصل المسيرة في معية الله سبحانه وتعالى ولذلك قال سبحانه :﴿ **قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً . نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً . أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً** ﴾ [المزمل : ٢ ـ ٤] .

ولذلك جعلت عناصر هـذا الكتاب تدور حول مقومات ثلاث هى :

---

(١) مسلم : فى العلم (١٦/٢٦٧٤) ، أبو داود : فى السنة (٤٦٠٩) ، والترمذى : فى العلم (٢٦٧٤) ، أحمد ٢/ ٣٩٧ .

١ ـ المقومات الروحية .
٢ ـ المقومات الخلقية .
٣ ـ المقومات الحركية.

وأخيراً أرفع أجزل الشكر ، وأعطر الثناء ،وأعظم الحمد للمولى عز وجل على توفيقه وامتنانه .

اللهم هذا جهد المقلّ ، وبضاعة المقصر تقبلها بفضلك ، وتجاوز عن نقصها بعفوك وما كان فى ذلك من إتقان.وإحسان ففضل منك وإنعام وما كان من خلل أو زلل فغفلة واستزلال شيطان ، فأقِلْ ـ يا رب ـ عثرتى ، واغفرلى زلتى يا أرحم الراحمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتبه / أبو محمود



المبحث الأول
المقومات الروحية

في هذا المبحث أسلط الضوء على المقومات الشخصية اللازمة في تكوين الداعية ليتأهل للنجاح في دعوته ، فالمقصود هو بيان ما يلزم الداعية أن يتخلق به في ذات نفسه.

لهذا اجتهدت بعد التأمل والتفكير ، أن أسلط الضوء على أبرز هذه الجوانب :

١ ـ التحرر من عبودية غير الله :

يقول الدكتور على بادحدح في كتابه مقومات الداعية الناجح ص ٣٥ : الإيمان قوة عظمى استعلى بها المؤمن على كل قوى الأرض، وكل شهوات الدنيا ، وأصبح حراً لاسلطان لأحد عليه إلا الله ، فلا يخاف إلا الله ولا يذل إلا لله ، ولا يطلب إلا من الله ، ولا يأمل إلا فى الله ولا يتوكل إلا على الله ، وللإيمان تأثير كبير فى أعظم أمرين يسيطران على حياة البشر وهما الخوف على الرزق ، والخوف على الحياة .

أما الأول : فلا يخفى كم أذل الحرص أعناق الرجال ، وكم

شغل الناس حبُّ المال ، وكم باع أناس مبادئهم ، وخانوا أمتهم وتنكروا لماضيهم لما ذهب الذَّهب بأبصارهم .

أما المؤمن فحقائق الإيمان تملؤ قلبه فلا يتأثر بشيء من هذا؛ لأن في قلبه قول الحق جلا وعلا : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢] . وأنه لا يملك أحد من البشر من ذلك شيئاً ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴾ [العنكبوت:١٧] .وفوق ذلك يعلم حقيقة الرزق في الدنيا وقيمته المحدودة لأنه مرتبط بقوله تعالى: ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه : ١٣١]. وحديث المصطفى ﷺ « ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء»[1] ومن هذه المنطلقات الإيمانية قال الشافعي رحمه الله :

أنا إن عشت لست أعدم قوتاً
وإذا مت لست أعدم قبراً
همتي همة الملوك ونفسي
نفس حرٍ ترى المذلة قهراً

وأما الثاني : فيقين المؤمن أن الموت والحياة بيد الله ، وأنه لا ينجي حذر من قدر ، وأن الأمة لو اجتمعت على أن يضروه بشيء

---

(١) الترمذي : في الزهد (٢٣٢٠) ، وقال : (صحيح غريب من هذا الوجه) .

لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه ، وأن الموت ليس بالإقدام وأن السلامة ليست بالإحجام بل كما قال تعالى ﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ** ﴾ [النساء : ٧٨] . ومن هنا يتميز المؤمن عن غيره، فبينما ترتجف القلوب وتنسكب الدموع، وتعلو التوسلات ، وتقدم التنازلات ، حرصاً على الحياة ، نجد المؤمن كالطود الشامخ يهتف مع خبيب بن عدى قائلاً :

ولست أبالى حين أقتل مسلماً

على أى جنب كان فى الله مصرعى

٢ ـ الخشية من الله :

وهى من أعظم وأبرز صفات المؤمنين ﴿ **الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ** ﴾ [الأنبياء : ٤٩] . ﴿ **الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ** ﴾ [الأحزاب : ٣٩] . وقدوتهم فى ذلك النبى ﷺ حيث يقول : «إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له » (١) ، والخشية أخص من الخوف، فهى خوف مقرون بمعرفة وعندما تعمر الخشيه والخوف قلب الداعية المؤمن يتميز عن غيره من الغافلين والعابثين؛ لأن الخوف يحول بين صاحبه وبين محارم الله ، وهذا الفهم هوالذى أنطق إبراهيم بن سفيان بالحكمة فقال : « إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات وطرد الدنيا

---

(١) البخارى : فى النكاح (٥٠٦٣) .

عنها»[١] ،وجعل الفضيل بن عياض يقول:« من خاف الله لم يضره أحد ، ومن خاف غير الله لم ينفعه أحد»[٢] وهذه الخشية دافعة للطاعة وما استعان عبد على دينه بمثل الخشية من الله ، والداعية له رتبة عليا من الإيمان تجعل خشيته لله أسرع إلى فؤاده من أى رهبة تخامر نفسه أمام ذى سلطان .

والخشية أساس مراقبة الله ترقى بالمؤمن إلى درجة الإحسان وأن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يراه [٣].

٣ ـ الإخلاص لله :

يقول الشيخ الغزالى رحمه الله: « الإخلاص لله روح الدين ولب العبادة وأساس أى داع إلى الله » [٤] وهو فى حقيقته قوة إيمانية ، وصراع نفسى ،يدعو صاحبه بعد جذب وشد إلى أن يتجرد من المصالح الشخصية وأن يترفع عن الغايات الذاتية، وأن يقصد من عمله وجه الله لا يبغى من ورائه جزاءً ولا شكورا. ﴿ **قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣]، والإخلاص

---

(١) تهذيب مدارج السالكين ص : ٢٧٠ . (٢) نزهة الفضلاء : ٢ / ٦٦١ .

(٣) مقومات الداعية الناجح ص ٣٨ : دكتور على بادحدح .

(٤) مع الله ـ دراسات فى الدعوة والدعاة ص : ٢٠١ .

للداعية ألزم له من كل أحد، وأهميته تفوق كل أمر وهو استجابة لأمر الله ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ [البينة : ٥]، وفى تركه خوف من الحرمان برد الأعمال ومنع التوفيق لأن الله يقول فى الحديث القدسى :« أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه غيرى تركته وشركه » ،وفيه وقاية من عذاب الآخرة الذى توعد به الرسول ﷺ من عمل بلا إخلاص عندما ذكر أول ثلاثة تسعر بهم النار وهم: قارئ وغنى ومجاهد لم يقصدوا بأعمالهم وجه الله .فلا بد إذن من تحرى الإخلاص والحذر مما يضاده فإنه «لا يجتمع الإخلاص فى القلب ومحبة المدح والثناء فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار والضب والحوت »[١] .

وخلاصة القول : إن الإخلاص يجعل للكلمات حيوية مؤثرة وللدعوة قبولاً سريعاً .

٤ ـ حسن الصلة بالله :

ويكون ذلك من خلال الآتى :

أ ـ إقامة الفرائض .

ب ـ الاستكثار من النوافل .

جـ ـ ممارسة الاجتماع على ذكر الله .

---

(١) الفوائد ص : ١٩٠ .

د ـ قيام الليل .

هـ ـ المداومة على الاستغفار وتلاوة القرآن .

و ـ زيارة القبور .

وغير ذلك من القربات والطاعات ، لأن العبادة زاد يتقوى به الداعيه (١) فالصلاة مثلا صلة بين العبد وربه وهى تربى الروح والقلب والجوارح عن الابتعاد عن الفحشاء والمنكر والبغى لقوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ويحسب الداعى إلى الله أن يتأمل فى نعمة الله علينا بالصلاة ، ليجد أنه سبحانه قد شرعها لنا وفرضها علينا ليفتح لنا بها باب الوقوف بين يديه ، ويزيل بيننا وبينه الحجاب ، ويمكننا من مناجاته بما تضمنته من أقوال فى خلواتنا وفى جماعاتنا .

وكذلك الشأن فى الزكاة: فهى تربية جيدة للروح والقلب منها أنها:

ـ امتحان من الله لعباده المؤمنين فى أموالهم التى يحبون؛ ليؤدوا منها حق الله وحق العباد من فقراء ومساكين .

ـ تطهر النفس من صفة البخل والشح .

---

(١) مقومات الداعية ص : ٤٠ .

ـ فرصة لشكر الله على نعمة المال .

ـ تزكية للنفس ورفعٌ لقدرها عند الله إذ تتقرب إلى الله تعالى بأداء ما فرض عليها .

وكذلك الشأن فى الصيام : فهو تربية روحية عالية المستوى يتدرب الإنسان فيها على ترك أقوى شهواته ـ شهوة البطن والفرج ـ من أجل إرضاء الله تعالى .

وكذلك الشأن فى حج بيت الله للمستطيع :فهو كفارة للذنوب ومدرسة لتربية الروح من أول عمل يقوم به الحاج حتى آخر عمل .

وبحسب المسلم فائدة من الحج لروحه وقلبه وبدنه أن يلبى الله وأن يكبره على كل شرف وأن يدعوه وأن يقدم له الهدى ليطعم منه المسلمون.

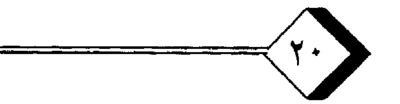
وبحسب الحج أنه يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن كما قال رسول الله ﷺ : « حجوا فإن الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن »(١).

ـ وهكذا تربى الفرائض روح المؤمن وتنقيها وتصقلها وتقربها من الله تبارك وتعالى تربية عملية لا يغنى فيها العلم عن العمل ولا النظريات عن التطبيق (٢).

---

(١) الطبرانى فى الأوسط (٤٩٩٧) : عن عبد الله بن جراد .

(٢) التربية الروحية : د / على عبد الحليم محمود .



وأما عن الإكثار من النوافل :

فنقول : إن من رحمة الله بالمسلمين أن جعل لهم نافلة من جنس كل فريضة ليزدادوا بأدائها قربا من الله تعالى .

فمثلا النوافل التى هى من جنس فريضة الصلاة كثيرة : منها خمس هى رواتب الصلوات الخمس، ومنها ثلاثة وراءها هى: صلاة الضحى وإحياء ما بين العشاءين والتهجد، ومنها صلاة العيدين وصلاة التراويح ،ومنها الصلوات العارضة كصلاة الكسوف والخسوف والاستسقاء وتحية المسجد وركعتا الوضوء، وركعتا ما بين الأذان والإقامة، وكل تلك الصلوات تقرب إلى الله تعالى .

وأما عن النوافل التى هى من جنس الزكاة فهى : الصدقات كصدقة الفطر وصدقة التطوع .

وخلاصة القول :

إن هذه النوافل إذا أُديت بحضور قلب وإخلاص نية لله كانت طريقاً إلى رضا الله تعالى عن عباده وإذا أحب الله عبده كان معه يؤيده ويعينه ويوفقه إلى كل ما يصلح له دينه ودنياه .

وإن النفس التى تتربى على أداء النوافل تستطيع أن تمضى فى طريق البذل والتضحية فى سبيل الله ، وكلما أثمرت فيها هذه التربية كلما زاد عطاؤها وعظمت تضحيتها من أجل هذا الدين .

وأما عن الاجتماع على ذكر الله :

بقيام الليل فنقول : إنه من النوافل التى تزيد الإنسان قرباً وصلة وتوصله إلى درجة حب الله تعالى له .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً . إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً** ﴾ [المزمل : ٥ ، ٦] .

والقول الثقيل هو : القرآن لما يشتمل عليه من أوامر ونواهى وتكاليف تعد شديدة على النفس بمنعها من كثير من شهواتها وإن كان أداؤها مرضاة لله تعالى .

ومن أنجح وسائل الاستعانة على العبادة قيام الليل لأن من هيأ نفسه ليقوم الليل عابداً لربه كان أقدر على أداء ما أمر الله به وعلى اجتناب ما نهى الله عنه .

ومما جاء فى السنة النبوية فى قيام الليل ما روى عن أبى أمامة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وهو قربة إلى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة للإثم »(١) .

وأما عن الاستغفار والذكر :

فنقول : إن الذكر عظيم المنزلة وهو العبادة المطلوبة بلا حد يُنتهى

---

(١) الترمذى : فى الدعوات (٣٥٤٩) وقال : « هذا أصح من حديث أبى إدريس عن بلال » .

إليه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيراً ﴾ [الأحزاب: ٤١]، والذاكرون هم السابقون، فى رياض الجنة يرتعون، وبوصية المصطفى ﷺ يعملون ، وبمباهاة الملائكة يسعدون .

والاستغفار من عظيم الأذكار وقد كان المصطفى يستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة وأخبر أمته أن « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ، ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب » (١) .

ولذا فلا بد للداعية من الأذكار ليحيى الله قلبه ، ولابد له من الاستغفار ليمحو الله ذنوبه .

وأعظم الذكر تلاوة القرآن التى هى من أقوى الصلات بالله التى يحتاجها الدعاة «ومن الصلة بالله إعزاز كتابه وإدمان تلاوته وتدبر معانيه، وعقد مقارنة بين المثل التى يحدو العالم إليها ، والواقع الذى ثوى الناس فيه لتكون هذه المقارنة حافزاً على تذكير الناس بالحق وقيادتهم إلى الله ، وتأهيلهم ،وقرب الداعى من كتاب الله يجب أن يكون متعة لروحه وسكناً لفؤاده وشعاعاً لعقله ووقوداً لحركته » (٢).

والصلة بالقرآن موجبة للتميز كما قال ابن مسعود رضي الله عنه «ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس

---

(١) أبو داود : فى كتاب الصلاة ، باب الاستغفار (١٥١٨) .

(٢) مع الله ـ دراسات فى الدعوة والدعاة ـ للغزالى : ص ٩١ .

مفطرون ، وبحزنه إذا الناس يفرحون ،وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون ،وبخشوعه إذا الناس يختالون ، وينبغى لحامل القرآن أن يكون باكيا محزونا حكيما حليما سكينا ،ولا ينبغى لحامل القرآن أن يكون جافيا ولا غافلا ولا صخابا ولا صياحاً ولا حديداً » (١) .

وأما عن زيارة القبور :

فمن شأنها تذكر الإنسان بالموت والموت ،من أكبر الحقائق التى تنتهى إليها حياة الإنسان وهى تطلع الإنسان على مصيره وتريه رأى العين .

ومن تذكر ذلك ، فكر فى أن يعمل لهذا اليوم العظيم وازدادت صلته بالله حتى يكون من الناجين .

روى عن أنس ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ « كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ، ألا فزوروها ، فإنها ترقق القلب ، وتدمع العين وتذكر الآخرة ، ولا تقولوا هُجراً »(٢). ومن تذكر الآخرة جعلها همه ومن كانت الآخرة همه أغناه الله وجمع شمله وأعطاه من نعم الدنيا ما يشاء .وقد روى عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه ، وجمع له شمله وأتته

(١) مقومات الداعية ص ٤٣ : د / على بادحدح وانظر الفوائد ص ١٩٢.

(٢) الحاكم فى مستدركه ١ / ٣٧٦ وصححه ووافقه الذهبى .

الدنيا وهى راغمة ، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله ، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له » [١] .

والخلاصة :

إن التربية الروحية من أعظم أسباب نجاح الداعية ، إذ ليس النجاح بفصاحة اللسان ولا قوة البرهان ولا كثرة الأعوان ، بل هو مع ذلك وقبل ذلك بتوفيق الله . . . وحسبى أن هذه المقومات التى ذكرتها فى هذه السطور تزيد صلة الداعية بربه،وتكون عونا له فى دعوته[٢] .

(١) الترمذى : فى صفة القيامة (٢٤٦٥) ، وسكت عنه .

(٢) التربية الروحية : د / على عبد الحليم محمود .

المبحث الثاني
المقومات الخلقية

إن الداعية الحق هوالذى يضع نصب عينيه حياة رسول الله ﷺ وسيرته العطرة وأخلاقه الكريمة لتكون نبراساً يضيء له الطريق .

لذا فمن خلال هذه السطور سوف أعرض لبعض الصفات الخلقية التى يجب أن يتحلى بها الداعية :

أولا: الرحمة والشفقة :

إن الداعى لا بد أن يكون ذا قلب نابض بالرحمة والشفقة على الناس ،وإرادة الخير لهم والنصح لهم ، ومن شفقته عليهم دعوتهم إلى الإسلام؛ لأن فى هذه الدعوة نجاتهم من النار وفوزهم برضوان الله تعالى[1] .

وعلى الداعى أن يعرف بوضوح أن رسالته للناس جميعاً هى رسالة رحمة كما أخبرنا القرآن وهو يخاطب الرسول ﷺ : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] رحمة فى العقيدة ورحمة فى التشريع، ورحمة فى الأخلاق .

---

(١) أصول الدعوة ص ٣٤٣ ، ٣٤٤ : د/ عبد الكريم زيدان .

والرحمة لا تتحقق إلا بالحرص على من يدعو فلا يكون مبغضاً لهم بل مشفقاً عليهم يرى مالا يرون فيأخذ بنواصيهم إلى الخير ﴿ **جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ** ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

وإن فى سيرة المصطفى ﷺ أعظم وأروع الأمثلة على الرحمة سيما فى المواقف العصيبة كما حصل يوم رجع من الطائف بعد أن ذهب إليها وفى قلبه أمل ، فلقى أعظم مما كان يتصور من الإعراض فرجع كسير القلب ، فلما بلغ قرن المنازل بعث الله جبريل ومعه ملك الجبال ، يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة فقال النبى: « بل أرجو أن يخرج الله من ظهورهم وأصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا شريك له » .

وفى يوم أحد عندما شج وجهه الشريف وكسرت رباعيته ، وسال الدم على وجهه نجده يقول « اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون » ومن هنا جاء الوصف الربانى العظيم فى ثنايا الآيات التى نزلت فى غزوة أحد: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

والداعى حين تغشاه الرحمة ويتحلى بهذا الخلق يعمق فى نفسه الإحساس بالتيسير على الناس والرفق بهم ، فربه الكريم لا يريد من الخلق إلا اليسير من الأمر ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ [البقرة : ١٨٥].

وفى الحديث : « يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق مالا يعطى على العنف ومالا يعطى على ما سواه » ويقول رسول الله ﷺ : « عليك بالرفق ، وإن الرفق لا يكون فى شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه » (١) .

ثانيا : الحلم والأناه :

يقول الدكتور على بادحدح : فى مسيرة الدعوة تمر بالداعية أحداث مثيرة ، وأفعال مستفزة، والناس ـ باختلاف طبائعهم ـ تختلف مواقفهم إزاء المثيرات التى تعمل على دفعهم نحو الرعونة والطيش ، فمنهم من « تستخفه التوافه فيستحمق على عجل ، ومنهم من تستفزه الشدائد فيبقى على وقعها الأليم محتفظا برجاحة فكره وسجاحة خلقه » (٢) .

والحلم « فضيلة خلقية نافعة . . . تقع فى قمة عالية دونها منحدرات، فهو أناة حكيمة بين التسرع والإهمال أو التوانى وضبط للنفس بين الغضب وبلادة الطبع » (٣) .

والأناة عند الداعية تسمح له بأن يُحكم أموره ، ويضع الأشياء فى مواضعها بخلاف العجلة فإنها تعرضه للكثير من الأخطاء والإخفاق .

---

(١) مسلم : فى البر والصلة والآداب (٢٥٩٤ / ٧٨) .
(٢) مقومات الداعية : ص ٧٦ ـ ٧٧ . (٣) الأخلاق الإسلامية : ٢ / ٣٢٥ .

وقد امتدح النبى ﷺ الأشج فقال : « إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله : الحلم والأناة » (١) .

ومن الأمثلة من سيرة الرسول ﷺ ما رواه أنس بن مالك حيث قال : جاء أعرابى فبال فى طائفة المسجد فزجره الناس فنهاهم النبى ﷺ فلما قضى بوله أمر النبى ﷺ بذنوب ماء أهريق عليه (٢) .

إن صفة الحلم علامة من علامات نبوة المصطفى كما يحكى لنا عبد الله بن سلام قصة زيد بن سعنة فيقول : إن الله عز وجل لما أراد هدى زيد بن سعنه قال زيد : ما من علامات النبوة إلا وقد عرفتها فى وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتان لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل إلا حلماً.

فعلى الداعية الناجح أن يقتدى برسول الله ﷺ وإلا فلا فلاح له ولا نجاح .

ثالثاً : العفو والصفح :

ومن مستلزمات الحلم الذى فيه كظم للغيظ وضبط للغضب، ثم الأناة التى فيها تبصر بالأمور وتأن فى التصرف ، مع الاستناد للرحمة بالجاهلين كل ذلك يثمر العفو والصفح .

وما دام الداعى المسلم ينظر إلى من يدعوهم نظرة رحمة وشفقة

---

(١) مسلم : فى الإيمان (١٧ / ٢٥) .

(٢) البخارى :فى الوضوء (٢٢١) .

عليهم فإنه يعفو ويصفح عنهم فى حق نفسه ،قال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

إذا كان هذا هو شأن الداعى المسلم لمن يدعوهم ويحتمل صدور الأذى منهم فإن عفو الداعى وصفحه عن أصحابه أوسع،قال تعالى: ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ، وعندما وقعت حادثة الإفك ، كان وقعها على آل أبى بكر شديداً ، فلما نزلت البراءة حلف أبو بكر ﷺ ألا ينفق على مسطح ابن أثاثة فأنزل الله فى ذلك قوله: ﴿ وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢].

والداعية الذى يهدف استمالة القلوب وهدايتها لا يقسو لأن: «القسوة التى استنكرها الإسلام جفاف فى النفس لا يرتبط بمنطق أو عدالة . إنها نزوة فاجرة تتشبع من الإساءة والإيذاء ، وتمتد مع الأثرة المجردة والهوى الأعمى »[1] ومن أعظم مواقف العفو عفو النبى ﷺ عن المشركين يوم فتح مكة .

وهكذا فإن رحابة الصدر وسماحة النفس تبعث الرحمة التى تدعو إلى الحلم الذى يقود إلى العفو فيكون من وراء ذلك التأثير التلقائى لأن الإنسان يتأثر بالإحسان : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا

(١) الرحيق المختوم : ٤٨٠ ، ٤٨١ .

الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤] .

رابعاً : الأمانة والصدق :

إذ أن صفة الأمانة من مقومات الداعى إلى الله وإذا تأملتها وجدتها صفة يشترك فيها جميع الأنبياء والرسل لأنها لازمة للصدق فلا يتصور إنسان صادق غير أمين أو أمين غير صادق والصدق حلية الأنبياء وحلة الصالحين حتى أنك ترى فى القرآن على لسان أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام يسأل ربه الصدق فى الدنيا والآخرة وبعد أن سأله أن يلحق بالصالحين قال : ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴾ فأنت تراها صفة كل نبى ورسول، يؤكدها الأنبياء جميعا فى سورة الشعراء .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [١٠٥ ـ ١٠٧] .

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [١٢٣ ـ١٢٥] .

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [١٤١ ـ ١٤٣] .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [١٦٠ ـ ١٦٢] .

﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [١٧٦ ـ ١٧٨] .

فهذا الخلق نطق به عفريت من جن سليمان: ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ .

وقالها يوسف :﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف : ٥٥] ،والحفيظ هو العليم.

وها هى بنت شعيب حين تمنت أن يكون موسى عليه السلام زوجاً لها قالت: ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ [القصص : ٢٦] ..

وكذلك الصدق من ألزم الأخلاق للداعية فهو يكسب به ثقة من يدعوهم وما يدعوهم إليه ، بخلاف الكذب الذى يسقط صاحبه من أعين الناس والله يدعونا أن نكون من الصادقين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٩] .

فهذه دعوة لأن يلزم الداعية الناجح هذا الخلق فى كل أقواله وأعماله ووعوده وعهوده ، وأن يكون ممن قال الله فيهم:﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .وهكذا ترى الأمانة والصدق متلازمان ولا زمان للداعية الناجح .

خامساً : الورع :

وهو منزلة أعلى من الصلاح ، والورع المطلوب هو ورع المتقين، وهو ترك بعض الحلال خشية الوقوع فى الحرام ، فإذا أمكن أن يصل الداعية إلى ورع الصديقين ـ وهو الإعراض عما سوى الله ـ فإنه يكون قد حقق منزلة يطمح إليها المخلصون من الدعاة إلى الله .

والورع ـ كما قال أسلافنا ـ له بداية ووسط وقمة .

أما بدايته : فترك مالا بأس به ، حذراً مما به بأس ، فعن عطية السعدى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين ، حتى يدع ما لا بأس به ، حذراً لما به البأس » (١) .

وأما أوسطه : فترك كل شبهة ، وترك مالا يعنيك من النظر والكلام والاستماع ، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » (٢) .

وأما قمته : فالتورع عن كل ما سوى الله ، وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يا أبا هريرة ، كن ورعاً ، تكن أعبد الناس ، وكن قنعاً تكن أشكر الناس ،وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً ،وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » (٣) .

---

(١) ابن ماجه :فى الزهد (٤٢١٥) .

(٢ ، ٣) المصدر السابق (٤٢١٧) .

سادساً : الصبر :

وهو نصف الإيمان ،فإذا كانت هناك صفة من صفات الدعاة إلى الله لها درجة عليا من الأهمية ، فإنها الصبر ، وهى صفة يجب على المسلمين جميعاً أن يتحلوا بها ، فما بالنا بالدعاة إلى الله وهم صفوة المسلمين ؟! قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة : ١٥٣] .فأمر به كل مؤمن،وقال سبحانه : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ** ﴾ [البقرة : ١٧٦] .فأثنى على أهل الصبر والتقوى وقال: ﴿ **بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٢٥]. فضمن للصابرين المدد والنصر ، وقال سبحانه : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾ [السجدة : ٢٤] . فوعد الصابرين بالإمامة فى الدين وهى منزلة ليس أعلى منها منزلة .

وقد روى صهيب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ، وليس ذلك إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيراً له ،وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » (١) .

---

(١) مسلم : فى الزهد (٢ / ٥٩٦) الحلبى .

وقال أسلافنا رضوان الله عليهم : الصبر ثلاثة أنواع :

١ ـ صبر بالله ، وهو الاستعانة به ، والاعتقاد بأنه هو الذى يمنح الصبر .

٢ ـ صبر مع الله ، وهو أن يكون العبد مع مراد الله ديناً ودنياً، صابراً نفسه ، يدور مع الحق حيث دار .

٣ ـ وصبر لله وهو أن يكون الباعث على الصبر هو محبة الله، وإرادة وجهه والتقرب إليه .

والداعية إلى الله ، يلقى فى سبيل دعوته من المتاعب ما يجعل الصبر عنده ذا أهمية بالغة حدَّ الأولوية (١) .

سابعاً : الإيثار :

وهو أن تقدم الناس وتؤثرهم على نفسك ، بحيث لا يعود عليك بضرر ، أو بشئ حرمه الله تعالى ، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [التغابن : ١٦]. فوصفهم بأنهم غير شحاح النفوس ، وأخبر عنهم أنهم بذلك يكونون من المفلحين .

والداعية إلى الله مطالب بالإيثار فى أعلى درجاته ، لأن الداعية

---

(١) فقه الدعوة إلى الله ص ٣٧٠ ، ٣٧١: دكتور/ على عبد الحليم محمود .

يكون فى أعلى الدرجات بما يقوم به من عمل فى الدعوة إلى الله ، فإنه يُربى ، ويكوِّن ويُعدُّ جنوداً لله يجاهدون فى سبيله ، لا يخافون فى الله لومة لائم ، فلا أقل من أن يؤثرهم على نفسه ، محتسباً أجره ومثوبته عند الله .

ثامناً : التواضع :

وهو خفض الجناح ولين الجانب ،وقبول الحق ممن كان ، والانقياد له قال تعالى: ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا** ﴾ [الفرقان : ٦٣] .

وعن عياض بن حمار رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » (١) .

وللدعاة ــ بل لسائر المسلمين ــ فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة فقد كان ﷺ مضرب المثل فى التواضع ، فقد ورد فى السنة والسيرة النبوية أن رسول الله ﷺ كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم ، وكان فى بيته فى خدمة أهله ، وكان يخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، ويحلب الشاة لأهله ، ويعلف البعير ، ويأكل مع الخادم ،ويجالس المساكين ،ويجيب دعوة من دعاه ولو إلى أيسر شىء .

وذاك هو التواضع المطلوب فى كل مسلم ،والمطلوب بصورة

---

(١) مسلم : فى الإيمان (٩١ / ١٤٧) .

ملحة فى الدعاة إلى الله بصورة خاصة (١) .

تاسعاً : الإحسان :

وهو أن يعبد الإنسان الله كأنه يراه . وهو لب الإيمان وروحه وكماله، والمحسن محبوب من ربه ومجزى أحسن الجزاء قال تعالى: ﴿ **وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [البقرة : ١٩٥] ،وقال سبحانه : ﴿ **هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ** ﴾ [الرحمن : ٦٠] والمحسن فى صحبة الله سبحانه وفى معيته قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** ﴾ [النحل : ١٢٨] .

ومن الإحسان الإجادة والإتقان لكل عمل يقوم به المسلم ، لأن الله تبارك وتعالى كتب الإحسان على كل شىء . أى كتب على المسلمين أن يحسنوا كل عمل. فعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله كتب الإحسان على كل شىء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » (٢) .

وكل عمل الداعية إلى الله ـ بل كل عمل المسلمين ـ بحاجة إلى الإحسان ، بمعنى مراقبة الله تعالى فيه ، والإحسان بمعنى التجويد والإتقان .

---

(١) فقه الدعوة إلى الله ص ٣٧٠ ، ٣٧١: دكتور/ على عبد الحليم محمود .

(٢) مسلم : فى الصيد والذبائح (١٩٥٥ / ٥٧) .

عاشراً : مراقبة الله :

على الداعية أن يديم مراقبة الله عز وجل فى شتى أحواله وأعماله وفى كل أقواله وأعماله ، بل وفى هواجسه ومشاعره . . .

ومراقبة الله تعالى تحفظ الداعية من الزلل وتقيه العثرات والانحراف ، وتجعله حاضر القلب يستهدى بالله لا بهواه . . .

ومراقبة الله تعالى إنما تتأكد فى نفس الداعية وتتعمق مع تزايد الشعور بقرب الله منه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق : ١٦]، ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة : ٧] .

قال عبد الله بن دينار : خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مكة . . . فعرسنا فى بعض الطريق فانحدر إليه راع من الجبل ، فقال له : يا راعى ، بعنى شاة من هذه الغنم .فقال : إنى مملوك ، قال : قل لسيدك: أكلها الذئب . قال : فأين الله . . . فبكى عمر ثم غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه فأعتقه وقال : أعتقتك فى الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تعتقك فى الآخرة .

وحكى ــ فى المراقبة ــ أنه كان لبعض المشايخ تلميذ شاب ،

وكان يكرمه .. فقال له بعض أصحابه : كيف تكرم هذا هو شاب ونحن شيوخ ؟ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طيرا وسكيناً وقال : ليذبح كل واحد منكم طيره فى موضع لا يراه أحد ودفع إلى الشاب مثل ذلك ... فرجع كل واحد بطيره مذبوحاً ، ورجع الشاب والطير فى يده ... فقال : مالك لم لم تذبح وقد ذبح أصحابك ؟ فقال : لم أجد موضعاً لا يرانى فيه أحد ، وإذا الله مطلع علىَّ فى كل مكان . فاستحسنوا مراقبته وقالوا : حُق لك أن تكرمه ...

وقيل : كان طاووس اليمانى رحمه الله بمكة ، فراودته امرأة عن نفسه ، فلم يزل بها حتى أتى بها إلى المسجد الحرام والناس مجتمعون ... فقال لها :اقضى ما تريدين؟ قالت : فى هذا الموضع والناس ينظرون ؟ قال : فالحياء من نظر الله أحق . فتابت المرأة وحسنت توبتها (١) .

تلك هى المراقبة المطلوبة لكل مسلم وللداعية بصفة خاصة لتكون مفتاحاً لنجاحة فى دعوته .

حادى عشر : مقومات أخرى :

ومن أهم هذه المقومات التى يجب أن يتحلى بها الداعى الناجح أن يكون :

---

(١) قوارب النجاة فى حياة الدعاة : فتحى يكن من ص ٦٧ ـ ٦٩ بتصرف .

١ ــ قوى الجسم .

٢ ــ متين الخلق .

٣ ــ مثقف الفكر .

٤ ــ قادراً على الكسب .

٥ ــ سليم العقيدة .

٦ ــ صحيح العبادة .

٧ ــ مجاهداً لنفسه .

٨ ــ حريصاً على وقته .

٩ ــ منظماً فى شؤونه .

١٠ ــ نافعاً لغيره .

وهذه المقومات يكمل بعضها البعض وإذا تحلى بها الداعية وحققها فى نفسه كانت مفتاحاً لنجاحه فى دعوته إذا أحاطها بالإخلاص والثقة بنصر الله، وزانها بخلق الصبر وعدم الاستعجال (١).

---

(١) من فقه الدعوة ص ٤٤٢ : مصطفى مشهور .



المبحث الثالث
المقومات الحركية

المسلمون بلا دعاة جهال، تتخطفهم شياطين الإنس والجن من كل حدبٍ وصوب، وتعصف بهم الضلالات والأهواء من كل جانب .

ومن هنا كان الدعاة إلى الله هم مصابيح الدجى، وأئمة الهدى وحجة الله فى أرضه، وهم أمناء على دين الله يدعون الناس إليه بلسان صادق ،وجنان ثابت، وخلق كريم ،أعمالهم ترجمان دعوتهم، وهم الأسوة فى القول والعمل .

لذا كان لابد للدعاة من مقومات فى مجال الحركة والدعوة، تساعدهم على ممارسة الدعوة بأسلوب متميز .

ومن خلال هذا المبحث ـ إن شاء الله ـ سوف أسلط الضوء على بعض هذه المقومات التى وفقنى الله إليها :

أولاً : القدوة على طريق الدعوة :

إن الإسلام الحنيف يرى أن القدوة هى أعظم وسائل التربية، ولابد للداعية الناجح أن يكون قدوة لمن يدعوهم ، إذ أنه لا تجدى دعوة مترف إلى التقشف، أو دعوة ظالم لإنصاف المظلومين، أو دعوة

كاذب إلى الصدق مثلا . إنها دعوات لا تجدى ، بل تترك أثراً سيئاً فى نفوس المدعويين ، وفاقد الشىء لا يعطيه .

إن معالم الشخصية القدوة وما ينبغى للمسلم أن يكون عليه قبل أن يدعو الناس لدين الله يحددها المصطفى ﷺ عندما أوصى معاذا رضي الله عنه فقال :« يا معاذ أوصيك بتقوى الله ، وصدق الحديث والوفاء بالعهد ،وأداء الأمانة وترك الخيانة ،وحفظ الجار ورحمة اليتيم، ولين الكلام وبذل السلام ،وحسن العمل وقصر الأمل،ولزوم الإيمان والتفقه فى القرآن ، وحب الآخرة ، والجزع من الحساب ، وخفض الجناح .وأنهاك أن تسب حكيماً أو تكذب صادقاً أو تطيع آثما أو تعصى إماماً عادلا أو تفسد أرضاً . وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية » .

ورحم الله أحد الصالحين حين نبه أتباع دعوته لهذا المعنى فقال: «إن رجل القول غير رجل العمل ، ورجل العمل غير رجل الجهاد ، ورجل الجهاد فقط غير رجل الجهاد المنتج الحكيم ،الذى يؤدى إلى أعظم الربح بأقل التضحيات . إن كثيرين يستطيعون أن يقولوا ، ولكن القليل من هذا الكثير يثبتون عند العمل ، وكثير من هذا القليل يستطيعون أن يعملوا ، ولكن قليلاً منهم يقدرون على حمل أعباء الجهاد الشاق والعمل العنيف ، وهؤلاء المجاهدون هم الصفوة

القلائل من الأنصار، قد يخطؤون الطريق ولا يصيبون الهدف إن لم تتداركهم عناية الله .

وفى قصة طالوت بيان لما أقول ، فأعدوا أنفسكم وأقبلوا عليها بالتربية الصحيحة والاختيار الدقيق، وامتحنوها بالعمل القوى البغيض لديها الشاق عليها، وافطموها عن شهواتها ومألوفاتها وعاداتها » (١).

تحذير للدعاة :

لقد صفع القرآن أولئك الذين يعظون الناس ولا يتعظون ، وينهونهم ولا ينتهون فقال تعالى : ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ** ﴾ [البقرة : ٤٤] . ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾ [الصف: ٢ ، ٣].

إن من دعا غيره إلى الهدى ولم يعمل به كان كالسراج يضىء للناس ويحرق نفسه .

وقال الشاعر :

يا أيهـــا الرجـــل المعلـــم غيـــره
هـــلا لنفســك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا
كيما يصح به وأنـــت سقيـــم

---

(١) طريق الدعوة ص ٣٨ : مصطفى مشهور .

ابـدأ بنفـسك فانههـا عـن غيهـا

فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبـل ما وعظـت ويقتـدى

بالعلم منك وينفع التعليم

وهل يجنى الذين يقولون مالا يفعلون ،ويعظون ولا يتعظون، ويرشدون ولا يسترشدون إلا سخرية العباد وسخرية ربهم، ويخسرون دينهم ودنياهم وذلك هو الخسران المبين ، قال الشعبى: «يطلع قوم يوم القيامة من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم: ما أدخلكم النار ، وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم ؟ فيقولون إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله ، وننهى عن الشر ونفعله »[1] .

موقع القدوة فى النفس :

قديماً قيل : مقام رجل فى ألف رجل خير من كلام ألف رجل لرجل ؛ لأن الإنسان فطر على التقليد .

وقديما قال الذين احتجوا بعدم الإيمان : ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ** ﴾ [الزخرف : ٢٣] . ومن أجل ذلك كانت القدوة أنجح وسيلة لنشر الدعوة وأيسرها.

---

(١) الدعوة قواعد وأصول ص ١١٥ : جمعة أمين .

رسول الله ﷺ والقدوة :

لقد كانت حياة رسول الله ﷺ مجموعة من المثل والقيم والمبادىء فى كل اتجاه ، فى حياته العامة إماماً وقائداً ، وفى حياته الخاصة زوجاً وأباً وعائلاً ، ولقد كان توجيه الوحي لنا باتخاذه قدوة ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

ويوم تأخر المسلمون يوماً فى الانصياع لأمر رسول الله ﷺ كانت مشورة أم سلمه لرسول الله ﷺ أن يبدأ بنفسه، فبدأ بنفسه ففعل الآخرون (١) . فعلى الداعية أن يعلم أن القدوة الحسنة دعوة عملية وليست دعوة كلامية، وهى دعوة بالحال قبل أن تكون بالمقال.

ثانياً : التأليف قبل التعريف :

إن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها وبُغض من أساء إليها ،والداعى الفطن هو من وفقه الله إلى أقفال القلوب ففتحها برفقه، وتعامل معها برحمته ،واستحضر مشاعر الحب فى مخاطبته إياها، حينئذ تلين القلوب القاسية وتستقيم الجوارح العاصية ، وإن نفوس البشر تألف الاعوجاج والتمرد ، خاصة إذا طال على صاحبها الأمر فيقسو القلب وتتعدد السبل ، لذا يجب على الداعى أن يتلطف فى المعاملة ،ويعرف مداخل النفوس ولا يتعجل الطريق .

---

(١) مناهج الدعوة وأساليبها ص ١٦٨ : د على جريشة .

إن الرفق هو القنطرة التى بين الداعى والمدعو، فإن أُحكم وضْعها وصل للمدعو كل ما يريده الداعى ويرغب . فعلى الداعى ألا يتعجل عرض الدعوة على الناس قبل أن يضع قنطرته ويثبتها باللين ويزينها بالرفق حتى مع أعدى أعداء الدعوة،وليأخذ كل داعية درساً من هذا الحوار الذى دار بين رسول الله وعائشة رضي الله عنها لما كان اليهود يأتون رسول الله ﷺ فيقولون : السام عليكم ـ بدلاً من السلام عليكم ـ والسام هو الموت ـ وهو ما أرادوه بقولهم وكان رسول الله ﷺ يقول لهم : «وعليكم » ولا يزيد عليها ، فسمعتهم عائشة يوماً فقالت : بل عليكم السام واللعنة، فلما انصرفوا قال لها رسول الله ﷺ: « مهلاً يا عائشة إن الله يكره الفحش والتفحش » . فقالت : يا رسول الله، أما سمعتَ ما قالوا ؟ فقال لها: « أما سمعت ما قلت لهم ؟ إنى قلت : وعليكم ، فيستجيب الله لى فيهم ولا يستجيب لهم فىَّ » (١).

إذن فلابد للداعى أن يترفق بالناس ولو رموه بالحجر ورحم الله أحد الدعاة حين قال: « كونوا مع الناس كالشجر يُرمى الحجر فيلقى بالثمر ، يرمونكم بالتهم والسخرية والاستهزاء والتنكيل والإخراج وأنتم ترمونهم بالرفق واللين والصبر على الإيذاء ؛لأن الله يحب الرفق فى الأمر كله » .

---

(١) الدعوة قواعد وأصول : ص ١٢٦ جمعة أمين .

ثالثاً : التعريف قبل التكليف :

مرحلة التعريف من أهم المراحل وأخطرها ؛ لأنه إذا أحسن الداعى تقديم الدعوة والتعريف بها تفتحت كثير من قلوب الناس لها، وهوت أنفسهم إليها.

إن الكلمة التى يحملها الداعى هى الكلمة الطيبة: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ. أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ،يحملها الداعى وهو يعلم أنها قذائف الحق تقذف على الباطل فتدمغه فإذا هو زاهق ،ولثقة الداعى بهذه النتيجة فإنه **يقول للناس جميعاً** : تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا. **ويقول للذين يخالفونه** : قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . **ويقول للذين يحاجونه**: وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين .

إن أهل الباطل يستخدمون سلاح التضليل والتجهيل بصرف الناس عن الإسلام فلابد أن يستخدم أهل الحق سلاح الحق بإظهاره وتوضيحه وتجليته وتعريفه قبل أن يطالبوا الناس بالتكليف ليقبل الناس على الإسلام بعد فهم أوامره . لأن التكليف لابد وأن يسبقه تعريف ؛ولذلك نجد الله سبحانه يخاطب رسوله ﷺ قائلاً : ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ** . . . ﴾ [محمد : ١٩] ، فالعلم هنا سبق التكليف ، تعريف

بالله أولا ثم العمل تكليفاً ، واستغفر لذنبك ـ وهل يستغفر ربه مستغفر إلا إذا تعرف عليه . ومن هنا كانت أول آية نزلت على رسولنا ﷺ : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ [العلق : ١] ،ليتحدد التصور السليم ثم بعد ذلك العمل .

ولقد كان للرسول ﷺ بعض المواقف التعليمية التى يريد بها تعريف الصحابة بأمر من أمور الإسلام لينطلقوا راشدين فى طريق الدعوة ، وها هو ذا معاذ بن جبل فى موقف من هذه المواقف يقول: كنت ردف النبى ﷺ على حمار ، وليس بينى وبينه إلا مؤخرة الرحل فقال : « يا معاذ هل تدرى ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله ؟» قلت: الله ورسوله أعلم قال : «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا ». فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر به الناس ؟ قال : « لا تبشرهم فيتكلوا » .

والقرآن الكريم نزل ليعرف الناس بأمور أربعة قبل أن يكلفهم بأى أمر ، وهذه الأمور هى :

١ ـ عرفهم بربهم ليعبدوه .

٢ ـ وعرفهم بأنفسهم ليبصروا حقيقة وجودهم .

٣ ـ وعرفهم بالكون ليعمروه .

٤ ـ وعرفهم بالمصير الذى ينتظرهم فى آخرهم .

ليتضح بعد ذلك التصور الصحيح والاعتقاد السليم فيصبح السلوك تبعا لذلك [١].

رابعاً : المراعاة والتدرج :

إن تغيير النفوس ونقلها من ميولها ومألوفها أمرٌ ليس سهلاً ، لذا فلابد من إدراك حقيقة مهمة للدعاة ، وهى أن المراعاة والتدرج لازمان لتغيير وحصول الاستجابة وكما قيل : « إذا أردت أن تطاع فأمـر بما يستطاع » . وهناك أمور كثيرة يلزم مراعاتها والأخذ بالتدرج فيها ،ومن هذه الأمور :

١ ـ مراعاة الطبائع :

إن الناس يختلفون بعضهم عن بعض ، فى علمهم وطبائعهم الشخصية وعاداتهم الاجتماعية . وكل ذلك يحتاج الداعية لمراعاته ، وبالنسبة لطبائع الأشخاص فإن المدعوين على ثلاثة أنواع :

أ ــ فمنهم الراغب فى الخير ولكنه غافل قليل البصيرة ، فيحتاج إلى دعوته بالحكمة.

ب ــ ومنهم المعرض عن الحق المشتغل بغيره ، فمثل هذا يحتاج إلى الموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب والتنبيه على ما فى التمسك بالحق من المصالح العاجلة والآجلة .

---

(١) المصدر السابق ص ١٦٨ ـ ١٦٩ بتصرف .

جـ ـ ومن الناس من له شبهة قد حالت بينه وبين فهم الحق والانقياد له ، فهذا يحتاج إلى مناقشة وجدال بالتى هى أحسن حتى يفهم الحق وتنزاح عنه الشبهة.

٢ ـ مراعاة الأفهام :

وهذا أمر معروف ، وله أسبابه من قلة العلم أو اختلاف البيئة أو استحكام العوائد ونحو ذلك .

قال ابن كثير فى تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ **فذكر إن نفعت الذكرى** ﴾ [الأعلى : ٩] أى ذكر حيث تنفع التذكرة، ومن هنا يؤخذ الأدب فى نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله » ولذلك قال النبى ﷺ : « يا عائشة ،لولا أن قومك حديث عهدهم ـ قال ابن الزبير: بكفر ـ لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين ، باب يدخل الناس منه وباب يخرجون »[1] .

٣ ـ مراعاة المقاصد والنيات :

فقد يتفق اثنان فى عمل ما ومع ذلك يختلف الحكم عليهما باختلاف النوايا ، فهناك من يفعل الفعل ناسيا ، أو جاهلاً بحرمته ، أو متأولاً فيه، أو مكرهاً عليه ،ولكل حكمه،ومنهم من يفعل الإثم قاصداً عالما بحرمته لكنه مغلوب ، بضعف عزمه فلا يلبث أن يندم ويتوب . . . وهكذا ،فعلى الداعية الناجح مراعاة مثل هذا من الأمور

(١) البخارى : فى العلم (١٢٦) .

التى لا ينبغى إهمالها كما قال ابن القيم: « إياك أن تهمل قصد المتكلم ونيته فتجنى عليه وعلى الشريعة، وتنسب إليها ما هى بريئة منه » .

ومن أبرز الأمثلة على اعتبار النيات وعدم اهمالها أو مراعاتها حديث التائب الذى قال : « اللهم أنت عبدى وأنا ربك » ـ لقد أخطأ من شدة الفرح (١) فلم يؤاخذ بذلك .

٤ ـ مراعاة الأحوال الخاصة :

فعلى الداعية أن يفطن لهذا فلقد سُئل النبى ﷺ الوصية والنصيحة من بعض أصحابه فقال لأحدهم : « لا تغضب » ،وقال لآخر : « قل آمنت بالله ثم استقم » ،وقال للثالث : «لا يزال لسانك رطباً بذكر الله » ، وما ذلك الاختلاف فى الجواب إلا مراعاة منه ﷺ للأحوال الخاصة بالسائلين، إذ كان يعلم حاجة كل واحد منهم والجانب القاصرعنده ، الأمر اللائق به ، فأوصى كل واحد بما يناسبه . . . وهكذا .

إن التدرج كان سنة الله مع خلقه فى التعريف بأمر دينهم فالقرآن نفسه نزل مفرقاً كما قال ربنا : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاه ﴾ [الإسراء : ١٠٦] . وذلك لاستدراج العرب وتعريفهم بأوامره ونواهيه على حسب النوازل والحوادث ـ ومن الحكمة أن الدواء يكون عند حدوث الداء ليكون تحولهم عن أخلاقهم وعادئهم بسهولة ويسر، ولو نزل عليهم القرآن دفعة واحدة لثقلت عليهم التكاليف ولنفرت قلوبهم عن

(١) مسلم : فى التوبة (٤/٢١٠٣) .

قبول ما فيه من الأوامر والنواهى .ورحم الله من قال : « خاطبوا الناس على قدر عقولهم » .ورحم الله السيدة عائشة رضوان الله عليها حين قالت : « أول ما نزل من القرآن سور المفصَّل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا : لا ندع الخمر أبداً ،ولو نزل لا تزنوا لقالوا : لا ندع الزنا أبداً » .

فلابد إذن من تغير النفوس شيئاً فشيئاً ، وإعدادها لتقبل أوضاع جديدة ، وتهيئة النفوس التائهة لتقبل الحق . ورحم الله ابن الجوزى حين قال : « لا ينبغى لعالم أن يملى ما لا يحتمله عقول العوام » .

وهكذا نرى أن التدرج مبدأً أساسياً فى دعوة الناس لدين الله حتى يفهموا على قدر عقولهم ،ويقبلوا عليه بقلوبهم ،ورحم الله الإمام على بن أبى طالب حين قال : « حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون ، أتحبون أن يكذَّب الله ورسوله » [١] .

خامساً : التيسير لا التعسير :

على الداعى أن ينظر إلى المدعو بروح الناصح الشفيق المتواضع السمح الرحيم به الذى يتمنى الخير له ، ومن هنا يجب عليه أن يخاطب الناس على قدر عقولهم، فييسر لهم ما صعب عليهم، ويشرح لهم ما غُم عليهم،ولا يظهر بمظهر العالم الجهبذ ليقول الناس أنه عالم فيحبط عمله بل ييسر على الناس ومن التيسير الابتعاد عن

(١) عن مقاله بمجلة المجتمع الكويتية : د / على بادحدح .

التفاصح والتنطع فى الكلام والتشدق فى الحديث :

« إن أبغضكم إلىَّ وأبعدكم يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون » (١) .

وها هى وصية رسول الله إلى أنس ﷺ إذ يقول « يسروا لا تعسروا ،وبشروا ولا تنفروا » (٢) .

وإن الاعتدال مطلوب للتيسير على المسلم حتى لو كان إماماً يصلى بالناس، فعن ابن مسعود الأنصارى ﷺ قال : قال رجل : يا رسول،الله لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول فلان فما رأيت النبى فى موعظة أشد غضباً من يومئذ فقال:« أيها الناس إنكم منفرون فمن صلى بالناس فليخفف فإن منهم المريض والضعيف وذا الحاجة » (٣).

وهكذا فإذا أراد الداعى التقدم بدعوته فليلزم هذه الوصايا (٤).

سادساً : الترغيب قبل الترهيب :

الحث على فعل الخير وأداء الطاعات والاستقامة على أمر الله جاء فى الكتاب والسنة مقرونا ببشريات كثيرة فى الدنيا والآخرة معاً، ولذلك وجب على الداعى أن يقدم البشارة قبل النذارة والترغيب قبل الترهيب .

---

(١) الترمذى : فى البر والصلة (٢٠١٨) وقال : « حسن غريب » .

(٢) البخارى : فى العلم (٦٩) ، وأبو داود : فى الأدب (٤٨٣٥) .

(٣) البخارى : فى العلم (٩٠) .

(٤) الدعوة قواعد وأصول ص ١٨٩ باختصار .

فالداعى يقدم الترغيب فى الإخلاص قبل الترهيب من الرياء، والترغيب فى نشر العلم على الترهيب من كتمانه، والترغيب فى الصلاة فى وقتها قبل الترهيب من تركها . . . وهكذا؛ لأن أسلوب الترغيب أجدى وأنفع من تقديم الترهيب دائما فى كل حديث فليست طبيعة الناس واحدة .

لذلك نجد المصطفى ﷺ لا يقنِّط الناس من رحمة الله بل يحببهم ويرغبهم فى الطاعات، وهذا أبو هريرة رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول فى ذلك يُبقى من درنه ؟ » قالوا : لا يُبقى من درنه شيئا ، قال : « فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا » (١) .

فعلى الداعى أن يفقه حال المدعو حين يدعوه فلا يرهب أحداً قبل أن يرغبه. ولعل قصة قاتل المائة فيها العبرة والعظة، الأمر الذى يحتم على الداعى أن يكون مبشراً بالخير مشجعاً عليه فإذا وجد خيراً فى المدعو فلينميه ولا يشعره بأنه هو العاصى الذى ارتكب الآثام العظام التى لا يرى منها توبة ، بل يشعره بأن طبيعة النفس الإنسانية طبيعة مزدوجه فيها الخير وفيها الشر قال تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ [الشمس: ٧ - ١٠] (٢) .

---

(١) البخارى : فى مواقيت الصلاة (٥٢٨) .
(٢) المصدر السابق ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ بتصرف .

سابعا : التربية لا التعرية :

إن الشفقة على العاصى وستر عيوبه وعدم التشهير به بل وعدم التعالى عليه خير وأجدى من مشاعر الكبر التى توسع الهوة بين الداعى والمدعو ،يقول رسول الله ﷺ: «إن الله أوحى إلىَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد»[(١)].

إن الإسلام يحث الداعى أن يقدم للناس لباس التقوى الذى يستر عوراتهم ويبرز محاسن أخلاقهم و يعينهم على طاعة ربهم ذلك لأن رسالة الداعى رسالة تربية فى المقام الأول يهتم بإبراز الشخصية الأخلاقية فيسمو بها ؛ لأن جوهر رسالة الإسلام خلق وإحسان ووسيلتها القدوة الحسنة وأول ميادينها النفس والقلب ولذا كانت التربية قاعدة أصلية لهذه الدعوة . وإليك بعض مواقف التربية :

١ ــ مع من يرغب فى الزنا :

عن أبى أمامة رضي الله عنه أن غلاماً شاباً أتى النبى ﷺ فقال : يا نبى الله، أتأذن لى فى الزنا ؟ فصاح الناس به فقال النبى ﷺ :«قربوه ، أُدْن » فدنا حتى جلس بين يديه ، فقال عليه الصلاة والسلام : «أتحبه لأمك؟» قال : لا . جعلنى الله فداك . قال ﷺ :« فكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم ، أتحبه لابنتك» ؟ قال: لا جعلنى الله فداك قال ﷺ :« فكذلك الناس لا يحبونه لبناتهم ؛أتحبه لأختك ؟

---

(١) مسلم :فى الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٥ / ٦٤) ،أبو داود فى الأدب (٤٨٩٥) ، وابن ماجه: فى الزهد (٤١٧٩) .

قال: لا جعلني الله فداك ، قال ﷺ : « فكذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم وزاد الراوى حتى ذكر العمة والخالة وهو يقول فى كل واحد . لا جعلنى الله فداك : والنبى ﷺ يقول: « كذلك الناس لا يحبونه » ثم وضع الرسول ﷺ يده على صدره وقال : « اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه وحصن فرجه » ، فلم يكن شيء أبغض إليه من الزنا [(١)] فياله من فقه تربوى يتعلم منه الدعاة الكثير والكثير .

٢ ـ مع أبى بكر الصديق :

يا له من موقف جليل لقلب كبير وهو قلب أبى بكر الصديق رضي الله عنه فلقد كان ينفق على « مسطح بن أثاثة » لمسكنته وقرابته فلما وقع أمر الإفك وقال فيه مسطح ما قال حلف أبو بكر ألا ينفق عليه ولا ينفعه أبداً فأنزل الله ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [(٢)] [النور : ٢٢] فقال أبو بكر : والله إنى لأحب أن يغفر الله لى فرجع إلى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه وقال : «والله لا أنزعها منه أبداً » .

٣ ـ مع الحسن والحسين :

فى موقفهما مع ذلك الشيخ الكبير الذى كان لا يحسن الوضوء،

---

(١) أحمد : ٥ / ٢٥٧ .

(٢) الدعوة قواعد وأصول ص ٢٢٠ ـ ٢٢٣ باختصار .

هذا الموقف الذى تلحظ فيه حسن الأدب والإرشاد .

لما علما أن هذا الشيخ لا يحسن الوضوء إتفقا على إرشاد الرجل إلى ذلك ، فتحاكما إليه فى أيهما يحسن الوضوء وتوضأ كل منهما أمامه،فلما وجد الرجل كلا منهما يجيد الوضوء علم أنه هو الذى لا يحسنه، فشكر لهما حسن إرشادهما وأعاد الوضوء بكيفية صحيحة .

فيا له من خلق عال ، ومعاملة كريمة تبنى ولا تهدم ، وتقوّم ولا تستهزئ وتعتب ولا توبخ ، إنها أخلاق الدعاة إلى الله .

وهكذا يكون دور الداعى تربية تأخذ بيد المدعو إلى مكارم الأخلاق ،لا تعرية تعين الشيطان عليه ، وليكون لبنة صالحة فى مجتمعه المسلم .



فن التعامل مع الناس في ضوء الكتاب والسنة

إن حسن معاملة الناس موهبة يهبها الله لمن يشاء من عباده ، ولا شك أن خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ قد أوتيها على أفضل وجه وأكمله . فقد وصفه الله سبحانه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] ، كما قال له : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ،والمقدرة على معاملة الناس جزء من الحكمة ،من أوتيها فقد أوتى خيراً كثيراً . وقال تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

وما دام التعامل مع الناس فنا وموهبة فماذا عساه أن يفعل من لم يؤت هذا الفن وتلك الموهبة ؟

للإجابة على هذا السؤال قام علماء النفس بدراسات مختلفة في

هذا الشأن ، واستطاعوا من خلال استقرائهم لطبائع الناس وسلوكهم أن يضعوا بعض قواعد هذا الفن .

أيها الداعية :

إن أول ما ينصحك به علماء العلاقات الإنسانية هو أن تظهر اهتماماً بالناس بدلاً من حملهم على الاهتمام بك ، ولعل أبرز مظاهر هذا الاهتمام هو بدء الناس بالتحية . وقد سن رسول الله ﷺ تحية قلّما نتفكر فى معناها وهى: « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » فأى شر يتوقعه إنسان منك بعد أن تطمئنه على نفسه بأنك مسالم له ، ثم تدعو أن يسبغ الله عليه رحمته وبركاته ؟ ولقد جعل الله رد السلام فرضاً فقال : ﴿ **وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا** ﴾ [النساء : ٨٦] .

والذى نلاحظه أنه قلما تجد من لا يرد التحية ، ولكنك تجد كثيرين لا يبدؤون الناس بالسلام ، فإذا أردت أن تكون موضع الترحيب من الناس فابدأهم بالسلام .وقد ذكر رسول الله ﷺ فى المتخاصمين عندما يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا أنّ خيرهما هو الذى يبدأ بالسلام .

ومن مظاهر الاهتمام بالناس :

١ ــ البشاشة :

ومن مظاهر الاهتمام بالناس البشاشة فى وجوههم ، وهذه عند

كثيرين أهم من تقديم الطعام والشراب لهم ، وقد قال رسول الله ﷺ : « تبسمك في وجه أخيك صدقة » (١) .

وفي الحديث الذي يرويه أبو ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق » (٢) ، فقد حض على البشاشة وجعلها من أبواب المعروف الكثيرة ، ومن مظاهر الاهتمام بالناس أن نضع أنفسنا في خدمتهم ، ونمد لهم يد المعونة ، فإذا فعلنا هذا كنا أهلا لمحبتهم. وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه : « جُبلت القلوب على حُب من أحسن إليها ». وقد رغب الرسول ﷺ في قضاء حوائج الناس أيّما ترغيب فقال في الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنه : « من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كُرب يوم القيامة » (٣) . وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه :« والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » (٤) .

٢ـ إظهار المحبة :

ومن مظاهر الاهتمام بالناس إظهار المحبة لهم ، وقد جعل الرسول ﷺ المحبة من الإيمان . فقال في الحديث الذي رواه أبو

---

(١) الترمذي : في البر والصلة (١٩٥٦) وقال : (حسن غريب) .

(٢) مسلم : في البر والصلة والآداب (٢٦٢٦/ ١٤٤) وأبو داود : في اللباس (٤٠٨٤) .

(٣) البخاري : في المظالم (٢٤٤٢) ، مسلم : في البر والصلة والآداب : (٢٥٨٠/٥٨) .

(٤) مسلم : في الذكر والدعاء (٢٦٩٩/٣٨) ،وأبو داود : في الأدب (٤٩٤٦) ، والترمذي: في الحدود (١٤٢٥) .

هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » (١) .

٣ـ توقير الكبير :

ومن مظاهر الاهتمام بالناس توقير كبيرهم وأهل الفضل منهم وإنزالهم منازلهم والعطف على صغيرهم . وقد حث رسول الله ﷺ على هذا فقال :« ليس منا من لم يجل كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه » (٢). وقد قالت عائشة رضي الله عنها : « أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم » .

٤ ــ مشاركتهم أحوالهم وظروفهم :

ومن مظاهر الاهتمام بالناس مشاركتهم فى أفراحهم ، وعيادة مريضهم ، ومواساتهم فيما يصيبهم ، وقد جعل رسول الله ﷺ هذا من حق المسلم على المسلم ، حيث قال فى الحديث الذى رواه أبو هريرة رضي الله عنه : « حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ،وعيادة المريض واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ،وتشميت العاطس » (٣) .

٥ ــ حفظ الاسم :

وبعد الاهتمام بالناس ينصحك علماء العلاقات الإنسانية بحفظ

---

(١) مسلم : فى الإيمان (٥٤/ ٩٣)

(٢) الترمذى : فى البر والصلة (١٩٢١) وقال : « حسن غريب » .

(٣) البخارى : فى الجنائز (١٢٤٠) ، مسلم : فى السلام (٢١٦٢/ ٤) .

أسماء من تلقاهم لتناديهم بها بدلاً من مناداتهم بصفاتهم، فقل: يا فلان، ولا تقل: يا طويل أو نحو ذلك. فالناس يحبون أسماءهم وإن كان فيها شيء من الغرابة أحياناً، حيث إن إسم الإنسان قد ارتبط به منذ ولادته، وقد تعلق هو به منذ أن بدأ يدرك الأشياء من حوله. ولقد نهانا الله تعالى عن استخدام الألقاب التى لا يحبها الناس فقال سبحانه: ﴿ **وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ** ﴾ [الحجرات : ١١] .

٦ ـ حسن الخلق :

وهذا باب واسع فى تعاليم الإسلام الحنيف ، فالرسول ﷺ كان أحسن الناس خُلقا كما ذكر ذلك أنس ﷺ ، والحض على حسن الخلق فى الأحاديث كثير. ففى حديث: « البر حسن الخلق »(١). وفى آخر يقول الرسول ﷺ: « إن من خياركم أحسنكم أخلاقا »(٢) ، ومن حسن الخلق العفو والصفح وهذا كما رغب فيه القرآن ، ووعد أصحابه بالمغفرة ، قال تعالى : ﴿ **وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾ [النور : ٢٢] ، وكذلك: ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٣٤] . ﴿ **وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ [الشورى : ٤٣] .

ومن حسن الخلق الرفق واللين، وقد جاء فى الحديث الذى روته

---

(١) مسلم : فى البر والصلة والآداب (٢٥٣٥/ ١٤، ١٥) .

(٢) البخارى : فى المناقب (٣٥٥٩) ، مسلم : فى الفضائل: (٢٣٢١/ ٦٨) .

السيدة عائشة رضي الله عنها: « إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله » (١)، وكذلك « ومن يحرم الرفق يحرم الخير كله» (٢) .

ولعل حادثة الأعرابى الذى بال فى المسجد ـ فقام الناس إليه ليقعوا فيه ـ معروفة لدى القارئ الكريم ،وقد اضطر الأعرابى إلى أن يقول : «اللهم ارحمنى ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً » .

٧ ـ الاستماع والكلام :

ومن الأمور التى ينصحونك بها أيضاً أن تكون مستمعاً طيباً تصغى إلى الناس ، وتسمع إلى مشكلاتهم فتكتسب بذلك ودَّهم وصداقتهم ومحبتهم .ولقد ضرب رسول الله ﷺ أروع الأمثلة فى هذا : حيث روى أنس رضي الله عنه: « إن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد النبى ﷺ فتنطلق به حيث شاءت» (٣) وقد كان هذا من باب التواضع وخفض الجناح للمؤمنين الذى أمر به القرآن الكريم .وإذا كان لابد أن تتكلم أنت فكن موجزاً .فقد ورد فى الحديث: « إن من أبغضكم إلىَّ وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون »(٤) .

---

(١) البخارى : فى الأدب (٦٠٢٤) ، مسلم : فى البر والصلة والآداب : (٢٥٩٣/ ٧٧) .

(٢) مسلم :فى البر والصلة والآداب (٢٥٩٢/ ٧٤) ،وابن ماجة فى الأدب (٣٦٨٩) ، وأحمد ٤ / ٣٦٢ .

(٣) البخارى : فى الأدب (٦٠٧٢) ، وابن ماجه :فى الزهد (٤١٧٧) ، وأحمد ٣ / ٢١٦ .

(٤) الترمذى : فى البر والصلة (٢٠١٨) ، وقال : « حسن غريب » .

٨ ـ تقدير الصنيع :

وإن مما يحببك إلى الناس ويقربك إلى قلوبهم أن تقدّر صنيعهم، فإن أسدى إليك أحد معروفاً فأسبغ عليه تقديراً خالياً من التملق حتى يشعر بمدى أهمية عمله عندك ،ويكون مستعداً لتقديم معروف آخر إليك ، وفى الحديث الذى يرويه ابن عمر رضي الله عنهما يقول رسول الله ﷺ : « من صنع إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى ترَوْا أنكم قد كافأتموه » [١] . وفى الحديث : « من قال : جزاك الله خيراً فقد أجزل العطاء » متفق عليه .

ولعل إظهار التقدير أو الثناء على الآخرين قبل القيام بالعمل أمر فى غاية الأهمية إذ يدفعهم إلى القيام به وهم فى غمرة كبيرة من السرور ، فهذا رسول الله ﷺ يقول لمعاذ رضي الله عنه: « يا معاذ إنى أحبك ، لا تدعن بعد كل صلاة أن تقول: « اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » ولا شك أن عبارة « إنى أحبك » قد فتحت عند معاذ رضي الله عنه أجهزة التلقى ، فكان على استعداد لفعل ما يؤمر به استعداداً لا مثيل له.

٩ ـ البعد عن الجدال :

فالجدل لا يؤدى إلا إلى خصومة وكراهية وقد حذر النبى ﷺ

---

(١) أبو داود : فى الزكاة (١٧٦٢) ، النسائى : فى الزكاة (٢٥٦٧) ، أحمد ٢ / ٦٨ .



من الوقوع فى الجدل فقال فى الحديث الذى رواه أبو أمامة رضي الله عنه : «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » (١) ، ثم تلا قوله تعالى ﴿ **مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ** ﴾ [الزخرف : ١٥٨] . وروى أبو أمامة أيضاً حديث رسول الله ﷺ : « أنا زعيم ببيت فى رَبَض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً » (٢) .

١٠ ـ أسلوب الدعوة :

والمخرج من هذا لا يكون إلا بالكلام الطيب ، فقد قال سبحانه : ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ [النحل: ١٢٥] ، وقال : ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا** ﴾ [الإسراء : ٥٣] ، قال الصابونى فى صفوة التفاسير : (أى قل لعبادى المؤمنين يقولوا فى مخاطبتهم ومحاوراتهم الكلمة الطيبة ، ويختارون من الكلام ألطفه وأحسنه ، وينطقوا دائماً بالحسنى ؛ فإن الشيطان يفسد ويهيج بين الناس الشرَّ ، ويشعل نار الفتنة بالكلمة الخشنة يفلت بها اللسان) .

---

(١) الترمذى : فى التفسير (٣٢٥٣) وقال : « حسن صحيح » .

(٢) أبو داود : فى الأدب (٤٨٠٠) ، الترمذى : فى البر والصلة (١٩٩٣) وقال : « حسن » .

وإن مما أوصى الله به بنى إسرائيل كما جاء فى القرآن الكريم : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة : ٨٣] ، قال الصابونى أيضاً فى صفوة التفاسير : (أى قولاً حسناً بخفض الجناح ولين الجانب مع الكلام الطيب) .

وقد قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام عندما أرسلهما إلى فرعون : ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه : ٤٤]، وفى الحديث الذى يرويه أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ «الكلمة الطيبة صدقة » (١) .

والمعالجة العملية لهذا تتم بطرق عديدة بحسب الأمر موضوع الاختلاف :

أولاها :

أن تتم الإشارة إلى الأخطاء التى تقع من الآخرين بطريقة خفية غير مباشرة تجعلهم يدركون خطأهم مع الاحتفاظ بماء وجههم .

وهذان سبطا رسول الله ﷺ رأيا رجلا لا يحسن الوضوء كما

---

(١) البخارى : فى الجهاد (٢٩٨٩) ، مسلم : فى الزكاة (١٠٠٩ / ٥٦) .

أشرنا قبل ذلك وقد منعهما الحياء أن ينبهاه إلى ذلك مباشرة ، فتشاورا بينهما ، ثم أتياه وطلبا منه أن يحكم بينهما أحسن وضوءاً من أخيه ، فأخذ يراقبهما وهما يتوضآن فتبين له أنه لا يجيد الوضوء مثلهما .

ثانيتها :

أن تكون اقتراحاتك مهذبة، لا أوامر أو نواهي صريحة، ورسول الله ﷺ ضرب لنا المثل الأعلى في هذا عندما أراد إرشاد قوم ليتعلموا من جيرانهم فقال: « ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم، ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون . . . »[1] .

وثالثتها :

أن تتدرج مع محدثك لطرح أسئلة عليه لا يجد عليها جواباً سوى نعم ، فإذا به في نهاية المطاف يوافقك على رأيك ، ومن هذا الباب ما فعله رسول الله ﷺ مع الأنصار الذين غضبوا لأنه وزع غنائم غزوة حنين على قريش فجمعهم وكان مما قال لهم : « ألم أجدكم ضُلالاً فهداكم الله بي ؟ وعالة فأغناكم الله بي ؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم بي ؟؟؟ قالوا : بلى . قال رسول الله ﷺ في

(١) الهيثمي : في المجمع (١ / ٤٠٢) .

نهاية هذه القصة التى أوردها البخارى : فوالذى نفسى بيده لو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار .

اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء الأنصار . فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا بالله رباً ، ورسوله قسماً ، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا [١] .

أيها الداعية .

هذا غيض من فيض تعاليم الإسلام الحنيف فيما يتعلق بفن التعامل مع الناس فى ضوء الكتاب والسنة عسى الله أن ينفع بها ويكتبها فى سجل الحسنات عنده إنه ولى ذلك والقادر عليه[٢] .

(١) البخارى : (٨ / ٣٨ ـ ٤٢) ، وأوردها الغزالى فى : فقه السيرة ص ٤٤١ ، ٤٤٢ .

(٢) من مقال للدكتور / محمود نحاس . بمجلة الأمة القطرية عدد ذو الحجة ١٤٠٦ هـ .



همسة فى أذن الداعية

بعد هذه الجولة السريعة حول عناصر هذا البحث أود أن أبعث إليك ـ من منطلق حبى لك ـ بهذه الوصايا عسى الله أن ينفعنى وإياك بها إنه ولى ذلك والقادر عليه :

١ ــ على الداعى أن يتحرى قصده حين يدعو غيره فيقصد بدعوته وجه الله ـ يقول الإمام الشافعى : «وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم على ألا ينسب إلىَّ منه حرف» .

٢ ــ على الداعى أن يتخلق بالمحاسن والأخلاق الكريمة ويتحلى بالحلم والصبر وطلاقة الوجه والورع واجتناب الضحك حين الدعوة، والحذر من الحسد والرياء واحتقار الناس وإن كانوا دونه .

٣ ــ لا يستنكف الداعية من التعلم ممن هو دونه فى سن أو نسبٍ أو شهرةٍ أو دين ،ولا يستحى عن السؤال عما يعلم،ولا يتعاظم على المتعلمين ، يقول سعيد بن جبير: « لا يزال الرجل عالما بالعلم ما تعلم فإذا ترك العلم وظن أنه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو أجهل ما يكون » .

٤ ــ أن يحترم من له سبق فى الدعوة إلى الله وأن ينزل الناس منازلهم مع الأخذ فى الاعتبار أن العبرة لمن ثبت على الطريق وليس

لمن سبق، وقيمة السبق فى الثبات ومواصلة الطريق .

٥ ـ لابد للداعية أن يحتسب الدعوة لله فيتحمل الأذى والاستهزاء ولا يفكر فى رد الصاع صاعين ﴿ **وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ** ﴾ [الشورى : ٤٣] ، وصاحب الدعوة يدفع بالتى هى أحسن وليس بمنتقم .

٦ ـ على الداعى أن يفرق بين الإسلام والمسلمين فالإسلام منزهٌ لا يُدان ، والمسلمون قد يقتربون من الإسلام تطبيقاً ،أو يبتعدون عنه،والمسلمون معرضون للإدانة والخطأ وليس الإسلام ، فالخلط بين المبدأ أو التطبيق ،وبين القاعدة والمثال،وبين الإسلام والمسلمين جهل قد يُولد الكمال الزائف عند بعض الدعاة ،أو يعطى الفرصة لتشويه الإسلام بسبب واقع المسلمين فيلقى أعداء الإسلام الشبهات لتشكيك المسلمين. فيجب على الداعى أن يوضح ذلك للمدعوين ليحذروا هذه الخديعة .

٧ ـ على الداعى ألا ينظر إلى العصاة والبغاة نظرة اليائس من إصلاحهم فيحكم عليهم مسبقا بعدم الاستجابة وينسى أن الله يقلب القلوب والأبصار كما يقلب الليل والنهار ﴿ **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ [القصص : ٥٦].

٨ ـ على الداعى ألا يتعامل مع طبقة معينة من الطبقات ويهمل دعوة الباقين، فيتعامل مع المثقفين مثلا ويهمل البسطاء ،أو المتعلمين

ويهمل الجهلاء ، أو مع الموظفين ويترك العمال وينسى أن دعوته للناس كافة .

٩ ـ على الداعى ألا يستهين بدعوة الصبى والصغير وينسى أن أطفال اليوم رجال الغد.

١٠ ـ على الداعى ألا يستهين بالكلمة الطيبة يقولها ولا يبخل بها،ولا وينسى أن للقلوب مفاتيح لا يعلمها إلا الله فربما كانت كلمته الطيبة مفتاح قلب قاسٍ فيهديه الله على يديه فذلك خير له من الدنيا وما فيها .

١١ ـ على الداعى ألا يكون قاضياً يحكم على الناس بكفر أو ردة ولتكن مهمته التذكرة ﴿ **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ . لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ** ﴾ [الغاشية : ٢١ ، ٢٢] ، وليذكر توجيه المصطفى ﷺ : «وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى يكون بينه وبينها ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة» والعكس صحيح .

١٢ ـ على الداعى أن ينظر إلى أهل المعاصى ويردد قول الحق جلا وعلا فى نفسه :﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ** ﴾ [الأعراف : ٤٣] ، وإذا رأى أهل البلاء فيسأل الله العافية وليقل : « الحمد لله الذى عافانا مما ابتلى به غيرنا » .

١٣ ـ على الداعى أن يثق فى نصر الله ،وأن الدعوة ستنتصر فلا يخشى على الدعوة من الضياع فالله خير حافظا ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا**

الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ،ولكن يخشى على نفسه من ألا يلحق بركب أصحاب الدعوات ، فالدعوة إن لم تكن به كانت بغيره .

١٤ ـ الداعية الناجح كالطبيب الناجح يعرف من أين يبدأ وكيف يبدأ ،ولابد أن تتوفر لديه إمكانيات التمحيص والتشخيص والمعالجة حتى لا يكون عمله سلسلة تجارب فاشلة ومحاولات مرتجله .

الخاتمة

* رأينا من خلال هذا البحث أن الدعوة إلى الله هى الوسيلة التى تفتح بها القلوب الغلف والأعين العمى والآذان الصم ، وما أصعبها من مهمة تحتاج إلى كثير من الحكمة والدقة والصبر والخبرة ، والداعى الذى لا يتحلى بهذه الصفات ربما تسبب أسلوبه فى نفور المدعوِّين وزيادة انغلاقهم .

* ورأينا من خلال هذا البحث أيضا أن الدعوة لها أهمية عظمى وأثر كبير فى كسب القلوب وفى إحداث التغيير فى النفوس وفى المفاهيم والعادات .

* لذا كان على الداعية الناجح أن يُعد عدته لحمل هذه الأمانة وكان عليه أن ينظر فى سير الأولين من الدعاة إلى الله ليرى كيف كان نهجهم، وكيف كانت صفاتهم ومقوماتهم لتكون نبراساً له على طريق الدعوة .

* وهذا هو ما كنا نددن حوله وأردنا أن نثبته من خلال هذا البحث نسأل الله القبول .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ثبت المراجع

١ - القرآن الكريم .

٢ ـ أصول الدعوة . د / عبد الكريم زيدان

٣ ـ التربية الروحية . د / على عبد الحليم محمود.

٤ ـ تهذيب مدارج السالكين . ابن القيم الجوزية .

٥ ـ خلق المسلم . الغزالى .

٦ ـ الدعوة قواعد وأصول . جمعة أمين .

٧ ـ الرحيق المختوم . المباركفورى .

٨ ـ طريق الدعوة . مصطفى مشهور .

٩ ـ فقه الدعوة إلى الله . د/ على عبد الحليم محمود .

١٠ ـ فقه السيرة . الغزالى

١١ ـ الفوائد . ابن قيم الجوزية .

١٢ ـ قوارب النجاة فى حياة الدعاة. د / فتحى يكن .

١٣ - مقومات الداعية الناجح . د / على بادحدح

١٤ - مناهج الدعوة وأساليبها . د / على جريشة

الفهرس

الموضوع ... الصفحة

رقم الإيداع ١٣٦٩٤ / ٢٠٠١م
I.S.B.N:977-19-7077-1



هـذا الكـتـاب

*إن الدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ شرف وعبادة ، فهى الوسيلة التى تفتح بها القلوب الغلف ، والأعين العمى، والآذان الصم.

*ولابد للدعوة من رجال يقومون على أمرها وشؤونها ، هؤلاء الرجال هم الدعاة المخلصون ، وسفراء الله إلى خلقه، وظيفتهم تبليغ أمر ربهم إلى البشرية كافة فهم يعلمون ـ تمام العلم ـ أن سعادة البشرية وشقاوتها تقوم على أساس تبليغهم هذه الرسالة .

*والدعاة لابد لهم من زاد للطريق يتزودون به واستعداد وتهيئة ومقومات وصفات؛ كى يواصلوا المسيرة فى معية الله ـ عز وجل .

*وهذا الكتاب يدور حول ثلاثة مقومات للداعية إلى الله ألا وهى:

- ـ المقومات الروحية .
- ـ المقومات الخلقية.
- ـ المقومات الحركية .

*ويسعد دار المنارة أن تقدم لقرائها هذا الكتا
الله أن ينفع به . وهو حسبنا ونعم الوكيل.

دار المنارة
للنشر والتوزيع والترجمة
المنصورة ص.ب ٣٥٧٧٨ ت: ٣٨٤٢٥٤